عوالم صناعة التاريخ في فكر مالك بن نبي

الدكتور: ميسوم بلقاسم
الأستاذ: موساوي يوسف
جامعة محمد خيضر بسكرة
belkamissoum@gmail.com
youcefmoussaoui1979@yahoo.fr

تاريخ الارسال : 09-04-2018 / تاريخ القبول: 24-04-2018 / تاريخ النشر 15-09-2018

الملخص:

مالك بن نبي هو صاحب نظرية عميقة في البناء الحضاري حيث ترتكز جل أفكاره في تحليل أهم قضايا العالم الإسلامي، كالنهضة والتاريخ والإستعمار، التي تناولها بالدراسة والتحليل في كل مؤلفاته تقريبا وبكل أبعادها، فأبدع في تحليلها وشرحها وطور بعض مفاهيمها، وقد حاولنا في هذا العمل أن نسلط الضوء على فكرة التاريخ عند مالك بن نبي رغم أن مفكرنا لم يترك كتابا مستقلا في هذا الحقل إلا أنه خصص فصولا كاملة في عديد من كتبه مثل كتابه "شروط النهضة" حيث خصص فصلا كاملا تحت عنوان "الحاضر والتاريخ" وكذلك فصلين في كتابه ميلاد مجتمع "الآراء المختلفة في تفسير الحركة التاريخية" و "التاريخ والعلاقات الاجتماعية" وثلاثة فصول في كتابه الظاهرة القرآنية "الوحدة التاريخية" و "أصول الإسلام بحث في المصادر" و "تاريخ الوحدانية" حيث استوحى من منظوره الخاص وانطلاقا من تحليله لواقع الفرد المسلم مفهوما جديدا للتاريخ كما وضح حركته وأهم العوالم التي تتحكم في تحديده.

الكلمات المفتاحية : عوالم صناعة التاريخ ، فكر مالك بن نبي

مقدمة :

مالك بن نبي هو صاحب نظرية عميقة في البناء الحضاري، فهو من المفكرين القلائل الذين طرحوا مشكلة الحضارة المعاصرة من منظور إسلامي مبرزا شروط قيامها، وعناصرها وموانعها وعوامل انهيارها، كما أمعن مالك بن نبي في الحفر حول مشكلات التخلف المزمنة، متجاوزا الظواهر الطافية على السطح إلى الجذور المتغلغلة في الأعماق، باحثا عن السنن و القوانين الكفيلة بتحول الشعوب من الكلالة والعجز إلى القدرة والفعالية، مستندا في سرد أفكاره على التجارب التاريخية للشعوب، فهو يجزم بأن التجارب

التاريخية العامة تؤكد اطوار الحضارات، كما نجده يولي اهتماما عميقا بالإنسان لأنه يمثل الجوهر في الفكرة البنابية فهو صانع التاريخ.

مفهوم التاريخ في فكر مالك بن نبي :

يعرف مالك بن نبي التاريخ "**بالنشاط المشترك بين عالم الأشياء والأشخاص والأفكار**" أو بمعنى آخر التاريخ نفسه ليس إلا قائمة إحصائية لعدد معين من الحركات والأفكار، ويشكل حقل دراسة وثروة من التجارب البشرية التي يتأملها في مختلف أطوارها في نجاحها وفي إخفاقها أي أنه على ما ذهب إليه علماء الاجتماع "هو النشاط المشترك المستمر الذي تقوم به الكائنات والأفكار والأشياء مطبوعا على صفحة الزمان".

يعتبر مالك بن نبي التاريخ علما قائما بذاته كسائر العلوم الأخرى ، كما يعود باستمرار إلى التاريخ لتفسير حالة اجتماعية أو سياسية أو ثقافية أو اقتصادية وكذلك بالنسبة للعلوم فإنه ينظر إلى كل علم برؤية زمنية، إذ لا يمكن حسب رأيه فهم الكثير من العلوم والنظريات العلمية والوقائع المعاصرة دون إلمام بخلفياتها التاريخية، وهذا يخص العلوم الاجتماعية والطبيعية معا، فالتاريخ كما يرى مالك بن نبي يقدم لنا دروسا من الماضي جديرة بالنظر والاعتبار، وعلى هدي التاريخ يصنع الحاضر ويبنى المستقبل، أو بتعبير آخر التاريخ نفسه ليس إلا قائمة إحصائية لعدد معين من الحركات والأفكار، حيث أنه يشكل له حقل دراسة وثروة من التجارب البشرية التي يتأملها في مختلف أطوارها في نجاحها وفي إخفاقها "[1] أما صناعة التاريخ فتتم حسب مالك بن نبي تبعا بتأثير طوائف اجتماعية ثلاث: تأثير عالم الأشياء وتأثير عالم الأشخاص وتأثير عالم الأفكار [2].

1/ **عالم الأشياء**: يعرفه مالك بن نبي على أنه كل ما يحيط بالإنسان من عوامل مادية وثقافية فعالم الأشياء في نظره عامل مهم في قيام عالمي الأشخاص والأفكار بدورهما المنوط بهما في صناعة التاريخ، فعالم الأشياء هو أول ما يلفت نظر الطفل منذ الولادة فالثدي بالنسبة له ليس أكثر من شيء قد تقوم الرضاعة مقامه، ويقسم مالك بن نبي عالم الأشياء إلى قسمين هما:

أ/ عالم الأشياء الثقافي: وهو ما يسميه بمرض "الشيئية" وعلاقته سلبية بالتاريخ لأنه يعد من أخطر الامرا ض التي حذر منها مالك بن نبي[3] فهو المرض نفسه الذي تسبب في الوضع الذي تعيشه الأمة الإسلامية اليوم، فلقد أدى إعجاب المسلمين بالحضارة الغربية إلى انبهار بعالم أشيائها فحاول استيرادها

كما هي من أجل النهوض و التطور وإعادة بناء الحضارة الإسلامية وذلك حسب رأي مالك بن نبي هي خرافة السجين الذي يطلب من سجانه مفاتيح السجن [4] ولقد ترتب على هذا الواقع النتيجة التي نعيشها اليوم، فلقد اقتحم الزي الأوروبي والبوق والصنبور والهاتف والسيارة شتى البلدان الإسلامية بصورة كبيرة وسريعة، لكن مشاكل التخلف ضلت راسخة القدم داخل تلك البلدان، وللأسف فإن روح التكديس والشيئية التي يجب التخلص منهما ما انفكت مستمرة البقاء وهي قد تتبدى أحيانا تحت مظهر مشتط في الهزل، وذلك عندما نلاحظ إذ نعبر أرجاء العالم الإسلامي أربعة أجهزة للتكييف في مقصورة أحد رؤساء المصالح أو خمسة أجهزة هاتفية على مكتبه[5] يصف مالك بن نبي حالة العالم الإسلامي الذي اقعده مرض الشيئية فيقول: "لقد ضل العالم الإسلامي خارج التاريخ دهرا طويلا كأن لم يكن له هدف، استسلم المريض للمرض، وفقد شعوره بالألم حتى كأنه أصبح يؤلف جزءا من كيانه إلى أن سمع هذا المريض بمن يذكره بمرضه ويحدثه عن العناية الإلهية التي استقرت على وسادته، فلم يلبث أن أفاق من سباته العميق لكن مازال لديه الشعور بالألم إنها بداية حقبة يطلق عليها **النهضة** أو الصحوة[6]، لكن ما مدلول هذه الصحوة عند مالك بن نبي؟ يرى مالك أنه عند الاطلاع على هذه الحقبة التاريخية و تفحص سجلاتها نجد فيها الكثير من الوثائق و الدراسات تعالج الجهل والاستعمار من هنا، والفقر والبؤس من هناك، وانعدام التنظيم واختلال الاقتصاد أو فساد السياسة في مناسبة أخرى، لكن من دون تحليل منهجي للمرض، أي دراسة منهجية تحليلية للمرض بحيث لا تدع مجالا للظن حول المرض الذي يتألم منه منذ قرون، ففي الوثائق نجد أن كل مصطلح قد وصف الوضع الراهن تبعا لرأيه او مزاجه أو مهنته أو ميولاته، فرأى رجل سياسي كجمال الدين الأفغاني أن المشكلة سياسية ولا تحل إلا بالوسائل السياسية، بينما قد رأى رجل دين كمحمد عبده أن المشكلة لا تحل إلا بإصلاح العقيدة والوعظ، على حين أن كل هذا التشخيص لا يتناول في الحقيقة المرض بل يتناول أعراضه، وقد نتج عن هذا أنهم لا يعالجون المرض بقدر ما يعالجون أعراضه، والمريض يريد أن يبرأ من مرضه لكنه لا يعرف حقيقة مرضه ولم يحاول أن يعرف، بل كل ما في الأمر أنه شعر بالألم فسارع إلى الصيدلي أي صيدلي يأخذ من آلاف الزجاجات ليعالج آلاف الآلام هذا شأن العالم الإسلامي، الذي دخل صيدلية الحضارة الغربية طالبا الشفاء، ولكن من أي مرض؟ وبأي دواء؟ فالعالم الإسلامي يتعاطى هنا حبة ضد الجهل وهناك قرصا ضد الاستعمار وعقارا ضد الفقر في مكان قصي، لكننا حينما نبحث حالته عن كثب لن نلمح شبه البرء، أي أننا لن نجد حضارة ولن نصنع تاريخا، لذلك نرى مالك بن نبي يؤكد على وجوب معرفة المقياس العام لعملية الحضارة ليلقي لنا ضوءا كاشفا على السلبية النسبية وانعدام الفاعلية في جهود المجتمع الإسلامي، لأن

المقياس العام في عملية الحضارة حسب مالك بن نبي هو أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها وسيكون من السخف و السخرية حتما أن نعكس هذه القاعدة، حين نريد ان نصنع حضارة من منتجاتها، ومن البين ان العالم الإسلامي يعمل منذ نصف قرن على جمع أكوام من منتجات الحضارة، أكثر من أن يهدف إلى بناء الحضارة والسبب برأيه أننا أردنا بدل الاضطلاع بتشييد الحضارة، رحنا نقوم بتكديسها أو تكديس نتائجها وهو نفسه مرض الشيئية الذي أصابنا اليوم.

ليس من الواجب في رأي مالك بن نبي لكي ننشئ حضارة أن نشتري كل منتجاتها ، فالأمر مستحيل كما وكيفا ، فمن ناحية الكيف لا يمكن لأي حضارة أن تبيعنا كل شيء جملة واحدة خاصة روحها وأفكارها وأذواقها كل هذا الحشد من الأفكار و المعاني والتي لا تلمسها الأنامل، ولكن بدونها تصبح كل الأشياء التي تبيعنا إياها فارغة دون روح وبغير هدف، أما من ناحية الكم لا يمكننا أن نتخيل العدد الهائل من الأشياء التي نشتريها فقد لا نجد رأس المال الكافي الذي ندفعه ثمنا لها ، وحتى وإن وجد فقد ينتج لنا حضارة "أشياء" أو نقوم فقط بعملية تكديس للأشياء الحضارية والفرق بين التكديس والبناء واضح[7].

ب/ عالم الأشياء المادي: وهو ما يشكل العالم الاقتصادي لحياة الفرد والجماعة، إن عالم الأشياء لا يقوم وحده، بل يقوم على العوالم الأخرى والتي تتحكم فيها جميع القوى الروحية أو ما يمكننا أن نسميه القيم الأخلاقية.

2/ **عالم الأشخاص**: إن لكلمة شخص معنى خاص ومضبوط في فكر مالك بن نبي فهي تعني ذلك الكائن المعقد الذي يمكنه صناعة التاريخ و إنتاج الحضارة، إذ هو يدين لها بكل ما يملك من أفكار و أشياء[8] و يرى أن هناك فرقا هائلا بين كلمة فرد وكلمة شخص، إذ أن الكلمة الأولى لا تدل سوى على النوع كما عرفته الحياة البيولوجية أي أن الفرد هو مجموع الصفات الجسمانية التي تميز النوع من غيره من الأنواع، في حين أن كلمة شخص تغير في المجال الثقافي ذلك المجال الذي يدين له الفرد حتى يصبح شخصا، و بعبارة أخرى يعني مالك بن نبي بعالم الأشخاص العالم الذي تغيرت فيه الافراد بسبب شروط ثقافية الى ان كونت عالما خاصا بها[9]، والإنسان يمكنه أن يتغير من فرد إلى شخص عندما يغير أولا الجانب الذاتي فيه من حالة الطين إلى حالة العقل حينها فقط يمكنه أن يغير الواقع المحيط به، ولا تتم عملية التغيير تلك إلا وفق شرطين أساسيين هما: أن يقتنع الإنسان بالفكرة الموجهة لمنهاجه في الحياة ثم يقنع الآخرين بهذه الفكرة، فإذا استطاع الإنسان أن يحقق هذين الشرطين كان له أن يساهم في حركة

التاريخ والارتقاء في سلم الحضارة، ولا يوجد في رأي مالك بن نبي أهم من العمل الذي يتسنى للإنسان أن يقوم به من تمتين الأواصر والروابط مع غيره من الأفراد وهو يذكر في هذا السياق "**إن العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده هو إقامة شبكة العلاقات الاجتماعية**"[10].

يرى مالك بن نبي أن العالم الإسلامي منذ سقوط غرناطة ونهاية عصر الموحدين لم يخط خطوة واحدة في تاريخه، لأنه بتر عالم أشخاصه منذ أن انطفأت آخر شمعة والمتمثلة في شخص بن خلدون فلم يعد عالم الأشخاص في المجتمع الإسلامي ينتج الفارابي والرازي والخوارزمي فهو بذلك فقد المبررات الثقافية لأن يكمل مسيرته عبر التاريخ، لأنه فقد أكبر خاصية لعالم الأشخاص وهي بناء العلاقات الاجتماعية.

يضرب مالك بن نبي مثالا من التاريخ الإسلامي حول عالم الأشخاص وهي قصة عزل عمر بن الخطاب لخالد بن الوليد من قيادة الجيش وتعيين عبيدة بن الجراح مكانه رضي الله عنهم جمعا، بحيث يرى في تلك الحادثة دروسا كثيرة فامتثال خالد لأوامر عمر بن الخطاب كان نتيجة الوازع الديني وتأثيره على الفرد حيث ان خالد اطاع أمر أمير المؤمنين، أما عمر رضي الله عنه فقد حاول أن يقي المسلمين شر التشبث بعالم الأشخاص عوض الفكرة وهي الإسلام.

3/ **عالم الأفكار**: بفضل الفكرة استطاع الإنسان أن يسير في طريقه إلى صنع التاريخ، والفكرة معبر عنها هي روح القدس كما يرى مالك بن نبي.

تشير الفكرة البنابية إلى أن المجتمع النامي لا يتميز فقط بقلة الوسائل المادية للأشياء وإنما يتميز بقصور الأفكار يتجلى هذا القصور بصفة خاصة في طريقة استخدامه للفكرة بفاعلية أو عدم الفاعلية، كما يتميز بقصور واضح في طريقة طرحه لمشاكله أو عدم طرحها بفاعلية، وهو الأمر الذي غفل عنه العالم الإسلامي، وكمثال على ذلك فعندما حاول **عباس بن فرناس**[11] الطيران وفشل في ذلك طرح كل من العالم الإسلامي والعالم الغربي سؤالين مختلفين، لقد دارت نقاشات حادة في كامل أرجاء العالم الإسلامي في ما إذا كان قد مات بن فرناس شهيدا أم منتحرا ؟ أما العالم الغربي فقد طرح الإشكال هل يستطيع الإنسان فعلا الطيران؟ فكيف كانت النتائج لقد وصل الغرب على القمر بينما لازال الجدال دائرا في عالمنا الإسلامي كما هو[12].

يرى مالك بن نبي أن التاريخ لا يصنع بالاندفاع في دروب سبق السير فيها، وإنما بفتح دروب جديدة، ولا يتحقق ذلك إلا بالأفكار الصادقة والتي تتجاوب مع جميع المشاكل ذات الطابع الأخلاقي،

وبأفكار فعالة لمواجهة مشكلات البناء في مجتمع يريد إعادة بناء نفسه، وفعلا فكما رأى مالك بن نبي فإن الأفكار هي التي تساهم إلى حد بعيد في صناعة التاريخ، لكن ليست كل فكرة قابلة لإحداث تغيير إيجابي في نظر مالك بن نبي لذلك قسمها على نوعين من الأفكار:

أولا: أفكار ميتة وأفكار قاتلة، فالأولى يعرفها على أنها "فكرة خذلت أصولها، وانحرفت عن نموذجها المثالي، ولم يعد لها جذور في محيط ثقافتها الأصلي" ويصفها على أنها تلك الأفكار التي ورثها العالم الإسلامي بعد عصر الموحدين وهي الأكبر خطرا من غيرها وهي نفسها التي يقول أنها ولدت في جوامع القيروان وبغداد والأزهر وهي للأسف نفسها التي أوصلتنا إلى مانحن عليه اليوم لأنها لم تستعن بمناهج باستور التي طبقها على الفيروس فبدل القضاء عليه زادت في انتشاره فكانت نتائجها قاتلة، أما الثانية فهي التي يعرفها مالك بن نبي بقوله "هي فكرة فقدت شخصيتها وقيمتها الثقافية بعد أن فقدت جذورها التي ضلت في مكانها في عالمنا الثقافي الأصلي"[13].

ثانيا: أفكار صادقة وفعالة وهي التي بإمكانها أن تشق طريقها في التاريخ إذا كانت هذه الفكرة تحمل عوامل القوة الفاعلة ويأتي ذلك من فعالية صاحبها، والفاعلية تكون اقوى في الوسط الذي يتيح أقوى الدوافع وأنشط الحركات وأقوم التوجيهات أي انه يقصد المحيط الذي تولد فيه الفكرة وما يلعبه من دور مهم، وعليه فكل فكرة تساهم في سير حركة التاريخ إلى الأمام يجب أن تكون صادقة وصالحة في نفس الوقت حتى تبعث الفاعلية في تاريخ أي شعب أو أمة كانت [14].

كما تطرق مالك بن نبي إلى الحتمية التاريخية فهو يرى أن التغيير مهمة الإنسان ووظيفته فوق الأرض ورسالته في الحياة فهو الذي يصنع التاريخ لأن التاريخ ليس ما تصنعه الصدف ولا مكائد الاستعمار ولكن ما تصنعه الشعوب ذاتها في أوطانها[15] ويكون ذلك بانسجام وتفاعل الإنسان مع عالم الأفكار وعالم الأشياء ولكن قبل ذلك يجب أن نصنع رجالا يمشون في التاريخ مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى، فقد صار من اللازم أن نضع أمامنا المشكلة بأكملها وأن نأخذ في اعتبارنا على الأخص عنصرها الأساسي وهو "الإنسان" ويلزمنا أولا أن نفهم كيف يؤثر الإنسان في تركيب التاريخ[16] إن الشعوب التي تصنع التاريخ هي تلك الفاعلة والعاملة على تحريك مسيرته وتوجيه مساره، في حين أن الشعوب التي تتأخر عن موعد التاريخ فهي تلك الأمم التي تسير ببطء في حين أن المشكلات تحتاج إلى نسق مسرع لحلها، وهذا النقص الذي يصيب الإنسان فيقعد به عن ملاحقة توقيت

التاريخ يجب التفكير في طريقة للقضاء عليه[17] وذلك لا يكون حسب راي مالك بن نبي إلا بتغيير ذلك الإنسان الذي يحتاج إلى تغيير ما بنفسه، فالتغيير رهن فاعلية ذلك الإنسان وحركته، وليست المادة وحدها العاملة على التغيير بل التركيبة الثلاثية بقيادة الإنسان فالقضية عند مالك بن نبي ليست مشكلة أدوات ولا إمكانات، إن القضية في أنفسنا إذ علينا أولا أن ندرس الإنسان فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ معا وإنها لشرعة السماء **غير نفسك تغير التاريخ** ذلك ما تشير إليه النظرة في تاريخ الإنسانية منذ أن بدأ التاريخ فنرى المجتمع حينا يزخر بوجود النشاط وأحيانا نراه ساكنا لا يتحرك يسوده الكساد وتغمره الظلمات، وهل هذه المظاهر غير تعبير عن حركة الإنسان أو ركوده[18]، أما الحتمية التاريخية فلا وجود لها في نظر مالك بن نبي لأنها في قيد الإنسان وتحت رقابته [19]وأكد ذلك عندما ضرب أمثلة بعظماء استطاعوا تفعيل حركة التاريخ باختلاف دياناتهم وحضاراتهم منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونابليون بونابرت ،فالعظماء وإن لم يصنعوا التاريخ فهم يساهمون في تعجيل حركته، فمالك بن نبي لا يضخم دور الفرد المتميز في صناعة التاريخ كما هو عند "توماس كرجيل" [20] أو "سيدني هوك" [21] كما أنه لا يقزم دوره أيضا كما يفعل المؤرخون الماركسيون الذين لا يؤمنون إلا بدور الجماعة فقط في تفسيرهم المادي للتاريخ[22].

يصف مالك بن نبي الزمن بالنهر القديم الذي يعبر العالم منذ الازل فهو يمر خلال المدن يغذي نشاطها بطاقته الأبدية، أو يذلل نومها بأنشودة الساعات التي تذهب هباء، وهو يتدفق على السواء في أرض كل شعب ومجال كل فرد، يفيض من الساعات اليومية التي لا تغيض، ولكنه في مجال ما يصير "ثروة" وفي مجال آخر يتحول "عدما"، فهو يمرق خلال الحياة ويصب في التاريخ تلك القيم التي منحها له ما أنجز فيه من أعمال، ونحن في العالم الإسلامي نعرف شيئا يسمى الزمن ولكن الزمن الذي ينتهي على عدم، لأننا لا ندرك معناه ولا تجزئته الفنية فالحياة والتاريخ الخاضعان للوقت كانا وما يزالا يفوتنا قطارهما، فنحن في حاجة ملحة إلى توقيت دقيق وخطوات واسعة لكي نعوض تأخرنا **"إن من الصعب أن يسمع شعب ثرثار الصوت الصامت لخطى الوقت الهارب"** هذا المعنى الذي لم نكسبه بعد هو مفهوم الزمن الداخل في تكوين الفكرة والنشاط وتكوين المعاني و الأشياء[23] يصف مالك بن نبي التاريخ بالشعاع الموجه إلى الأمام يمر بمراحل زمنية وبأماكن ظرفية لا يعود منها فالتاريخ بالنسبة له لا يعيد نفسه كما يقول البعض كما أن التاريخ لا يصنع بالاندفاع في دروب سبق السير فيها إنما بفتح دروب جديدة كما يتحدث عن اللحظات الكبرى في التاريخ إن الأيام الكبرى في التاريخ فترات يسودها الإكبار والإجلال،

وتسكت فيها النزاعات الخاصة، وتهمد المنازعات حتى التي تحركها الفوارق الأيديولوجية، وهكذا تسكن العقول والقلوب إلى بعضها كما حدث في فرنسا عندما ائتلف أتباع ديغول وأتباع توريز وشكلوا حكومة التحرير، فالتاريخ في نضر بن نبي يبدأ بالإنسان المتكامل الذي يطابق دائما بين جهده وبين مثله الأعلى وحاجاته الأساسية والذي يؤدي في المجتمع رسالته المزدوجة بوصفه ممثلا وشاهدا وينتهي التاريخ بالإنسان المتحلل، وبالجزء المحروم من قوة الجاذبية بالفرد الذي يعيش في مجتمع منحل، لم يعد يقدم لوجوده أساسا روحيا أو ماديا، وينتهي التاريخ حتما كي يتجدد من نقطة جديدة وهذه هي الدورة الحضارية الخالدة، التي تخضع لها كل الحضارات ولا يمكن لحضارة ما ان تبقى بعد أذان نهايتها، فهي غير قادرة على تجاوز سنة التاريخ[24].

من أبرز ما تميز به مالك بن نبي هو محاولته الدائمة لتفسير كثير من الأحداث التاريخية بإعطائها صبغة نفسية بالتوغل في أعماق طبائع الناس واغوار نفسيتهم فيقول: "إن آلية الحركة التاريخية إنما ترجع في حقيقتها إلى مجموع العوامل النفسية التي تعد ناتجا عن بعض القوى الروحية وهي التي تجعل النفس البشرية هي المحرك الجوهري للتاريخ الإنساني"[25].

يميز مالك بن نبي في الحدث التاريخي جانبين، الجانب العرضي البشري والجانب القدري، فالتاريخ لا تؤثر في تعجيل حركته و دفع سيره فقط تأثيرات جغرافية و اقتصادية و اجتماعية بل هناك تأثيرات مهمة أخرى هي التأثير الديني الذي يقوم بنفس الدور ويؤدي نفس الوظيفة إذ نجد عدة أحداث وقعت في تاريخ الحضارة الإسلامية خاصة في فترة النبوة تتصل اتصالا وثيقا بالجانب الغيبي ولا يدركها الحس وحده مثل حادثة شق الصدر وحادثة الإسراء و المعراج وجهاد الملائكة إلى جانب المسلمين في غزوة بدر ، إذ يعتبر المؤرخ المسلم تلك الاحداث حقائق تاريخية مطلقة لا تحتمل أدنى شك في حين أن مؤرخا آخر غير مسلم يستبعد وقوع هذه المشاهد الغيبية لأنه يختزلها فقط في الرؤية العقلية البشرية المحدودة و القاصرة، وليس من السهل على المؤرخ غير المسلم أن يستوعب هذا المعنى" إن مضمون هذه الأحداث التاريخية ليس بالبساطة التي تظهر لأعين الذين لا ينظرون الى الأشياء إلا من وجهة نظرهم الفردية أو القومية وعلى أساس هذه الخطة العامة للإنسانية ولحضارتها ندرك المعنى الكامل أو الميتافيزيقي للأحداث.

يكاد مالك بن نبي أن يكون مقتنعا أن التاريخ يشهد على الدور الرئيسي للدين في مسيرة البشرية نحو التحضر فهو يقول " كلما أوغل المرء في الماضي التاريخي للإنسان في الأحقاب الزاهرة لحضارته، أو في البداية لتطوره الاجتماعي وجد سطورا من الفكرة الدينية"، كما يقترح مالك بن نبي نظرة جديدة

للتاريخ تقوم بقلب المنهج التاريخي لفهم تأثير الغيب على حركة التاريخ " كي نعطي للأحداث تفسيرا متكاملا يتفق مع مضمونها كله، يجب أن نحبس تصورنا لها في ضوء العلاقات الناتجة عن الأسباب، بل ينبغي أن نتصور الأحداث في غايتها التي انتهت إليها في التاريخ، ومن هذا الجانب قد نحتاج أن نقلب المنهج التاريخي فنرى الظواهر في توقعها بدلا من أن نراها في ماضيها، ونعالجها في نتائجها لا في مبادئها، فلكي نفهم ملحمة تيمور لنك ينبغي مثلا أن نسال أنفسنا ماذا لو أتيح لبايزيد أن ينصب رايته فوق أسوار فيينا ومن بعدها برلين؟ لو حدث ذلك لأذعنت أوروبا كلها لصولجان الإسلام المنتصر آنذاك، هذه المقاربة تستعملها المدرسة التاريخية الأمريكية خاصة في مجال التاريخ الإقتصادي[26].

الهوامش :

1-مولود عويمر،**مالك بن نبي رجل الحضارة مسيرته و عطاؤه الفكري**، ص 78

2-مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1985، ص 23.

3-الأخضر شريط، **مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، معهد الفلسفة (1988-1989)، ص 102.

4-**الجزيرة الوثائقية، مالك بن نبي المجهول في قومه**، على
الرابط:https://www.youtube.com/watch?v=h9pTc-BqqOQ بتاريخ: 2018/03/30 على الساعة: 17:30.

5-مالك بن نبي، **القضايا الكبرى**، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1991، ص 50-51.

6-**النهضة**: مصطلح تاريخي يعود إلى حركة عمت البلاد العربية بين سنة 1820 و1914 وهي تنبيه العرب إلى ماضيهم المجيد، وإدراكهم لواقعهم المتخلف، وينظر إلى بداية النهضة بعد حدوث الصدمة الثقافية التي نجمت عن احتلال نابليون لمصر 1798 وحملة الإصلاحيين من الحكم اللاحقين مثل محمد علي.

7-مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ترجمة، عبد الصبور شاهين، ط3، دار الفكر، دمشق، 1986، ص 44.

8-مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، المصدر السابق، ص 26.

9-الأخضر شريط، المرجع السابق، ص 69.

10- مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، المصدر السابق، ص 26.

11- **عباس بن فرناس**: (810-887م) هو أبو القاسم عباس بن فرناس مخترع وفيلسوف وشاعر أندلسي من قرطبة عاش في عصر الخليفة الأموي الحكم بن هشام في القرن التاسع الميلادي اشتهر بمحاولته للطيران إذ يعده العرب والمسلمون أول طيار في التاريخ.

12- مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، ترجمة، محمد عبد العظيم علي، ط 1، دار الحكمة للنشر والتوزيع، تونس، 1985، ص 39.

13- الأخضر شريط، **مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي**، مرجع سابق، ص 91.

14- مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، دار الإنشاء للطباعة والنشر، لبنان 1974، ص 16.

15- مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه**، ترجمة عمر مسقاوي، دار الفكر، دمشق 1986، ص 68.

16- مالك بن نبي، **شروط النهضة**، المصدر السابق، ص 77.

17- مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، ط4، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1984، ص 99.

18- العابد ميهوب، **مفهوم التنمية في فكر مالك بن نبي**، مجلة العلوم الإنسانية والمجتمع، جامعة زيان عاشور الجلفة، العدد 02، جوان 2012، ص 155.

19- مولود عويمر،**مرجع سابق**، ص 80.

20- توماس كارليل: thomas karlyle 1881/1795 كاتب أسكتلندي ناقد وساخر ومؤلف من أهم مؤلفاته كتاب (الأبطال وعباداتهم) يبرز فيه دور الفرد كأساس لصناعة التاريخ.

21- سيدني هوك: sidney hok (1902-1989) فيلسوف أمريكي كان من المتحمسين للفكر الماركسي قبل أن يتراجع عن تأييده له، تقلد عدة مناصب منها رئيس قسم الفلسفة بجامعة نيويورك.

22- مولود عويمر، **مالك بن نبي رجل الحضارة مسيرته و عطاؤه الفكري** ، المرجع السابق، ص 81.

23- مالك بن نبي، **شروط النهضة**، المصدر السابق، ص 139.

24- مولود عويمر، **مالك بن نبي رجل الحضارة مسيرته و عطاؤه الفكري**، المرجع السابق، ص 84.

25- مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، المصدر السابق، ص 21.

26- مالك بن نبي، **الظاهرة القرآنية**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1981، ص 103.